بـاب

قال أبو العباس: قال الأَحْنَفُ بن قَيْسٍ: ألا أدُلُّكُمْ على المَحْمَدَةِ بِلا مَرْزِئَةٍ؟ الخُلُقُ السَّجِيحُ، والكَفُّ عن القَبيح، ألا أُخْبِرُكُمْ بأَدْوَإِ الـداء؟ الخُلُقُ الدَّنِيءُ، واللسان البَذِيءُ[1].

وقال الأحنفُ: ثلاثٌ فيَّ ما أقولُهُنَّ إلا لِيَعْتَبِرَ مُعْتَبِرٌ[2]: ما دَخلتُ بين اثنين حتى يُدْخِلاني بينَهمـا، ولا أتيتُ بابَ أحـد من هؤلاء ما لم أُدْعَ إليـه ـ يعني السُّلْطـانَ ـ ولا حَلَلْتُ حُبْوَتي[3] إلى ما يَقُومُ إليه الناسُ.

تَكْسِرُ الحاء وتضمُّها إذا أردتَ الاسم، وتفتحها[4] إذا أردتَ المَصْدر، أنشدني عُمَارَةُ بن عَقِيلٍ لِجَرِيرٍ[5]:

قُتِـلَ الـزُّبَيْـرُ وَأَنْتَ عـاقِـدُ حُبْـوَةٍ ... قُبْحـاً[6] لِحُبْوَتِـكَ الَّتِي لَمْ تُحْلَلِ

---

(١) المرزئة مصدر رزأه ماله إذا نقصه. والسجيح: السهل اللين. وأدوأ الداء أشدّه. عن رغبة الآمل ٢/٩٢.
ورسم في الأصل: «بأدوى الداء»، وفي ي و ج: «الخلق الدنيّ واللسان البذيّ».

(٢) في الأصل وفي ج: «ليعتبر بهن معتبر».

(٣) الحبوة: من احتبى الرجل: إذا جمع ظهره وساقيه بعمامته وقد يحتبي بيديه.

(٤) في ج: «الحبوة بكسر الحاء... وبفتح الحاء» وفي الأصل وهـ: «وتفتح»

(٥) تذييل ديوانه ق ٣٣/٢٤ جـ ٢/٩٤١ عن النقائض ٢١١.

(٦) في الأصل وج وهـ وهامش ي: «تبّاً» وبهامش الأصل: «قبحاً». وكلاهما رواية.

ويقال في جمعِ جُبْوَةٍ: جِباً وجُباً مقصوران.

وقال عُبَيْدُ الله بنُ عبد الله بنِ عُتْبَةَ: ما أَحْسَنَ الحَسَناتِ في آثار السَّيِّئات، وأَقْبَحَ السَّيِّئاتِ في آثار الحَسَنات!، وأَقْبَحُ من ذا وأَحْسَنُ من ذاكَ السَّيِّئاتُ في آثار السيئات، والحَسَناتُ في آثار الحسناتِ.

والعَرَبُ تَلُفُّ الخبرين المختلفين، ثم تَرْمي بتفسيرهما جُمْلَةً، ثِقَةً بأنَّ [٢/٢٧] السَّامِعَ يَرُدُّ إلى كلِّ خَبَرَهُ، وقال الله عز وجل: ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾[1].

[٧٤] وقال رجلٌ لِسَلْم بن نَوْفَلٍ: ما أَرْخَصُ السُّودَدِ فيكم؟ فقال سَلْمٌ: أَمَّا نَحْنُ فلا نُسَوِّدُ إلاّ مَنْ بذَلَ لنا مالَهُ، وأَوْطَأَنا عِرْضَهُ[2] وامْتَهَنَ في حاجتنا[3] نفسَه. فقال الرجل: إن السُّودَدَ فيكم لَغالٍ.

ولِسَلْمٍ يقول القائل:

يُسَوَّدُ[4] أقْوَامٌ وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ ... بَلِ السَّيِّدُ المَعْرُوفُ سَلْمُ بْنُ نَوْفَلِ

وقال معاوية لعَرَابَةَ بنِ أَوْسِ بنِ قَيْظِيٍّ الأنْصَارِيِّ: بمَ سُدْتَ قومَك؟ فقال: لَسْتُ بسيِّدهم ولكنّي رجلٌ منهم. فَعَزَم عليه فقال: أَعْطَيْتُ في نائِبَتِهم، وحَلُمْتُ[5] عن سَفِيهِهِمْ، وشَدَدْتُ على يَدَيْ حَلِيمِهم؛ فَمَنْ فَعَلَ منهم مِثْلَ فِعْلي فهو مِثْلِي،

---

(١) سورة القصص: ٧٣.

(٢) قال المرصفي: كنى بذلك عن احتمال المكروه. رغبة الآمل ٢/٩٣.

(٣) في أ و س وج وظ: «حاجاتنا».

(٤) في ج و هـ: «تسوّد»

(٥) في أ و ب و س و ظ: «وحملت». وفي الأصل: «وحَمُلْتُ» وهو سبق قلم.
وبهامش ي ما نصه: «حلمت روايةُ ابن سراج. وحملت روايةٌ».

ومن قَصَّرَ عنه[1] فأنا أفضلُ منه، ومن تَجاوَزَهُ[2] فهو أفضل مني.

وكان سَبَبُ ارتفاع عَرابةَ أنَّه قَدِمَ من سَفر[3]، فَجَمَعَهُ الطريقُ وَالشَّمَّاخَ بنَ ضِرَارٍ المُزَنِيَّ[4]، فتحادثا، فقال له عَرَابةُ: ما الذي أقْدَمَك المدينةَ؟ قال: قَدِمْتُ لِأَمْتارَ منها، فَمَلأ له عَرابةُ رَوَاحِلَهُ بُرًّا وتَمراً، وأتحفه بغير ذلك، فقال الشَّمَّاخُ[5]:

رَأَيْتُ عَـرَابَـةَ الأَوْسِيَّ يَـسْـمُـو ... إِلَى الخَيْـرَاتِ مُنْـقَـطِعَ الْقَـرِيـنِ
إِذَا مـا رَايَـةٌ رُفِـعَـتْ لِـمَـجْـدٍ ... تَـلَقَّـاهَـا عَـرَابَـةُ بِـالْـيَـمِـيـنِ
إِذَا بَـلَّغْـتِـنِـي وَحَـمَـلْـتِ رَحْـلِي ... عَـرَابَةَ فَـاشْـرَقِي بِـدَمِ الْـوَتِينِ[6]
ومِثْـلُ سَـرَاةِ قَـوْمِـك لم يُجَـارَوْا ... إِلَى رُبُـعِ الـرِّهَـانِ وَلَا الثَّمِينِ[7]

قوله: «تَلَقَّاها عَرابةُ باليمين» قال أصحاب المعاني: معناه بالقوَّة، وقالوا مثلَ ذلك في قول الله عزَّ وجل: ﴿ وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾[8].

وقد أَحْسَنَ كلَّ الإِحْسَانِ في قوله:

إِذَا بَـلَّغْـتِـنِـي وَحَـمَـلْـتِ رَحْـلِي ... عَـرَابَـةَ فَـاشْـرَقِي بِـدَمِ الْـوَتِينِ

---

(١) في ج و هـ: «عني».

(٢) في الأصل و ف و ظ و ج وهـ و أ و ب و س: «تجاوزني». والأجود على هذه الرواية أن تكون رواية ما قبله «ومن قصّر عني..» كما في ج وهـ.

(٣) في ج: «ارتفاع ذكر عرابة». وفي الأصل و ج «من سفر له».

(٤) انظر ما سيأتي من التعليق على نسبته إلى مُزَةَ ص ٨٢٥.

(٥) ديوانه ق ١٨/٢٣، ٢٥، ٨، ٢٦ ص ٣٢٣ - ٣٤٠. وستأتي ص ٨٢٥.

(٦) اشرقي من الشرق بالتحريك وهو الشجا والغصة. والوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

(٧) الرهان: ما يوضع من المال في مسابقة الخيل فمن أحرز قصب السبق أخذه. والثمين: الثمن. يريد أن قومه لا يفاخرهم مفاخر ولا يلحق شأوهم لاحق.

(٨) سورة الزمر: ٦٧. وقد فسر بعضهم اليمين بالقوة والقدرة، انظر تفسير القرطبي ١٥/٢٧٨ وبصائر ذوي التمييز ٥/٤٠٩.
وقال الحافظ ابن كثير: «وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية، والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف...» وساق طائفة من الأحاديث، انظر تفسير القرآن العظيم ٧/١٠٤، وانظر تفسير الطبري ٢٤/١٦.

يقول: لَسْتُ أحتاجُ إلى أن أرْحَلَ إلى غيره. وقد عاب بعضُ الرُّواةِ قولَهُ «فاشرقي بدم الوتين» وقال: كان ينبغي أن يَنْظُرَ لها مع استغنائه عنها، فقد قال رسولُ الله ﷺ للأنصارية المأسورةِ بمكة وقد نَجَتْ على ناقة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنّي نَذَرْتُ إنْ نَجَوْتُ عليها أنْ أنحَرَها. فقال رسول الله ﷺ: «بِئْسَ ما جَزَيْتِها»، وقالَ: «لا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةٍ، ولا نَذْرَ للإنْسانِ في غَيْرِ مِلْكِهِ»[1].

ومما لم يُعَبْ في هذا المعنى قول[١/٢٨] عبدِالله بنِ رَواحةَ الأنْصارِيِّ[2] [٧٥] لما أمَّرَه رسولُ الله ﷺ بعد زَيدٍ وجَعْفَرٍ على جَيْش مُؤْتَةَ[3]:

إذا بَلَّغْتِنِي وحَمَلْتِ رَحْلِي ... مَسِيرَةَ أرْبَعٍ بَعدَ الْحِساءِ
فَشَأْنُكِ فَانْعَمِي وَخَلَاكِ ذَمٌّ ... وَلَا أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي

«الحِساءُ»: جمعُ حِسْيٍ[4]، وهو موضع رَمْلٍ تحته صَلابَةٌ، فإذا مَطَرَتِ السماءُ على ذلك الرمل نزل الماءُ، فَمَنَعَتْهُ الصَّلابةُ أن يَغِيضَ؛ ومَنَعَ الرملُ السَّمَائِمَ[5] أن تَنْشَفَهُ، فإذا بُحِثَ ذلك الرملُ أصيب الماء[6]. يقال حِسْيٌ وَأَحْساءٌ وحِساءٌ[7].

وقوله: ولا أرجعْ إلى أهلي ورائي

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب النذر برقم ١٦٤١، وأحمد في المسند ٤/٤٣٠ من حديث عمران بن حصين، ولفظه فيهما: «فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله! بئسما جَزَتْها! نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنّها. لا وفاء لنذر في معصية ولا فيما لا يملك العبد» وفي لفظ: «في معصية الله وفيما لا يملك ابن آدم».

(٢) من كلمة له في السيرة النبوية ٤/١٨.

(٣) بهامش ي ما نصه: «مؤتة بالهمز هو الموضع الذي قتل فيه جعفر بن أبي طالب. وموتةٌ بغير همز هو ضرب من الجنون» وهي بالشام انظر معجم البلدان ٥/٢١٩. وسيأتي ١٢٦٠ عن أبي الحسن أن المبرد لا يهمزها.

(٤) وهو مياه لبني فزارة بين الربذة ونخل يقال لمكانها ذو حساء. معجم البلدان ٢/٢٥٧ وأنشد بيت ابن رواحة شاهداً.

(٥) السمائم جمع سموم وهي الريح الحارة.

(٦) في الأصل وهـ: «أصيب الماء تحته».

(٧) في ف: «وحساء ممدودة».

مجزومٌ لأنه دعاء، فقوله: «لا» هي الجازمة له، ومعناه: اللهم لا أَرْجِعْ، كما تقول: زيدٌ لا يَغْفِرِ الله له. وهـذا[1] الدعاء يَنْجَزِمُ بما يَنْجَزِمُ به الأمرُ والنَّهْيُ، كما تقول: زيدٌ لِيَقُمْ، وزيد لا يَبْرَحْ.

وقد اتَّبَعَ ذو الرُّمَّةِ الشَّمَّاخَ في قوله، فقال[2]:

إِذَا ٱبْنَ أَبِي مُـوسـىٰ بِـلَالاً بَلَغْتِـهِ فَقَـامَ بِفَـأْسٍ بَيْنَ وِصْـلَيْـكِ جَـازِرُ

الوصل: المَفْصِلُ بما عليه من اللحم، يقال: قَطَعَ ٱللهُ أوصاله، ويقال: وِصْلٌ، وكِسْرٌ، وجِدْلٌ[3]، في معنى واحد.

---

(١) في ر: «فهذا».

(٢) في ج: «... الشماخ في معناه فقال» وفي ف: «الشماخ في معناه في قوله إذا...».
والبيت في ديوانه ق ٦١/٣٢ جـ ١٠٤٢/٢، وسيأتي البيت ص ١٢٢٩ شاهداً على نصب الاسم الواقع بعد حروف الجزاء بفعل مضمر يدل عليه الفعل الذي شغل عنه، فانظر تعليقنا عليه ثمة.

(٣) بهامش الأصل ما نصه: «من البارع [ص: ٦٣٠] قال أبو زيد: الجدل بفتح الجيم وسكون الدال غير معجمة وجمعه الجدول، وهو العظم بلحمه. قال ثابت: كل عظم لا يكسر ولا يخلط بغيره فهو جدل والجمع جدول» وقول أبي زيد «بلحمه» ليس في مطبوعة البارع.
وبهامش ي ما نصه: «قال أبو عبيدة: ويقال: وِصْلٌ ووَصْلٌ بالكسر والفتح. وقال كَسْر وجَدْل بالفتح وجمعها أجدل وجُدول. قال ابن سراج: يجوز كسرُ الواو [كذا ولعل الصواب: كسر الفاء يعني الحرف الأول من الأمثلة] وفتحُها في الثلاث».
وضبطت الأربعة في ج بالكسر والفتح، وبهامشها ما نصّه: «روي بالنصب للثلاثة الأخرى». إلا أن أبا عبيدة قد نصّ فيما نقله صاحب البارع ٦٣٠ على كسر الجيم من الجدل قال: «كل عظم لا يكسر ولا يخلط به غيره فهو جدل الجيم مكسورة والدال مكسورة [كذا] [غير] معجمة» ولا ريب أن «مكسورة» بعد «والدال» من إقحام الناسخ وزاد ناشره [غير] ولا يستقيم الكلام إلا بها. وسيأتي تفسير الأكسار جمع كسر ص ٢٠٣.